أزمة الهُوية وصورة المثقف في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم

Identity Crisis and the Image of the Intellectual in the Novel by Sonaallah Ibrahim.

قوادري عيشوش فاطمة الزهراء*

جامعة الجيلالي بونعامة، (الجزائر)، f.kouadriaichouch@univ-dbkm.dz

تاريخ الارسال2023/02/04 تاريخ القبول 2023/03/09 **تاريخ النشر**2023/06/10

ملخص:

شهدت الرواية العربية المعاصرة تطورا كبيراً، فارتبطت مواضيعها بالراهن في معالجة المشكلات والقضايا التي تهم المثقف، كاشفة عن معاناته وتناقضاته النفسية والاجتماعية والإيديولوجية، وكذا التطرق إلى تجاربهم في الواقع، وصياغتها في قالب فني مميّز، ولعلنا نجد رواية اللجنة للكاتب صنع الله إبراهيم قد حفلت بمضامين اجتماعية وسياسية وتاريخية في معالجتها أزمة الهوية وصراع المثقف لأجل الوصول إلى غاياته، في ظل الواقع المأساوي المعاش نتيجة التسيد والانغلاق والتسلط، وهنا جاء موضوع دراستنا المعنونة بأزمة الهوية وصور المثقف ف رواية اللجنة، ومن ثمّ تكمن أهميته في معالجة قضية صراع الهوية وما تطرحه من قضايا معقدة حول المثقف في المجتمع العربي، إضافة إلى تبيان مظاهر الاستغلال والتخاذل للمثقف في المدونة، فما ما هي صورة المثقف في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم، وما هو دور الواقع الاجتماعي والسياسي في خلق أزماته النفسية؟

ومن النتائج التي نسعى إلى بلوغها الكشف عن علاقة الهوية بالصراع النفسي لدى المثقف العربي، وأهم ما توصل إليه البحث من نتائج تحيل إلى معاناة المثقف نتيجة الانحطاط والتخاذل، ومن هنا يتضح أنّ الهوية تكشف لنا عن الواقع المتأزم، مع ما تحمله من صراعات على مستوى السياسي والاجتماعي على سواء.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الأزمة، المثقف، صراع، الشخصية.

Abstract: **Times New Roman;**

The contemporary Arab novel has witnessed a great development, and its themes are now linked to addressing the problems and issues of concern to the intellectual, revealing his suffering and his psychological, social and ideological contradictions, as well as addressing their experiences in reality, and formulating them in a distinctive artistic template. With social, political and historical implications in addressing the crisis of identity and the struggle of the intellectual in order to reach his goals, in light of the tragic reality lived as a result of domination, isolation and domination, and here came the subject of our study entitled Identity Crisis and the Images of the Intellectual in the Committee's narrative, which aims to address the issue of identity conflict and the complex issues it raises. About the intellectual in the Arab society, in addition to explaining the manifestations of exploitation and neglect of the

* المؤلف المرسل

intellectual in the blog.
Among the results that we seek to achieve is the disclosure of the relationship of identity to the psychological conflict of the Arab intellectual, and the most important findings of the research refer to the suffering of the intellectual as a result of decadence and failure. both social.
Keywords: identity, crisis, intellectual, conflict, personality.

1. مقدمة:

شكل الخطاب الروائي منذ بداياته موضوعا نسجت حوله النظريات وبنيت لفهمه وتفسيره المناهج باختلاف مراجعياتها وآلياتها، وتباين منطلقاتها وغايته من تحليله ومدارسته، فقد أجمعت مناهج السياق على النظر إلى المنجز الأدبي كونه صورة عن مؤلفه وبيئته وتاريخه، حيث عالجت الرواية العربية الحديثة المشكلات النفسية والاجتماعية التي تخص الفرد، ذلك من خلال تجسيد عمق التّجربة الشعوريّة المعيشة، والتّعبير عن التجربة الفنيّة، إذ "تخطّت الالتزام الاجتماعي والسياسي، ومكّنت الكاتب من التعبير عن رؤاه اتجاه واقعه[1].

كما حرص الروائيون المحدثون في كل مرحلة من مراحل التجربة السردية على أن يمثلوا توجها حداثيا، من خلال أعمالهم الفنية، ليقدموا لنا نماذج يتناغم فيها الوجود مع الواقع، ومن هذا المنطلق يحاول هذا البحث تسليط الضوء على أهم المعضلات الثقافية التي تتناول فيها قضايا المثقف في المجتمع العربي، وذلك باعتماد مرجعيات اجتماعية ونفسية.

كانت الإشكالية محل الدراسة المساءلة منطلقة من افتراض يقضي بأنه إذا كان للمثقف دور في عملية تطور المجتمعات لبناء بنيتها الفوقية فإن ذلك يستلزم أن تكون له وسائل وأساليب، فاعلة في تنوير القضايا وحل المشكلات داخل المجتمع، وإذا تقرر ذلك فكيف يسهم المثقف في تصوير معاناته وقمع السلطة؟ وفيما تمثلت مواقفه السياسية والاجتماعية؟

وتكمن أهمية هذه الدراسة من خلال التعرف على قضية صراع المثقف في المجتمع العربي، ودراسة أهم الأزمات النفسية والاجتماعية التي يعاني منها، إذ كان لها القدرة على توصيل أفكار الراوي وتصوراته اتجاه الحياة. ومعاينة دور المثقف كفاعل اجتماعي، واستكشاف الطبوهات السياسية المعبّر عن صور المثقف أمام المجتمع.

وقد اعتمد البحث على المنهج الاجتماعي، الذي يقوم على ربط الأدب بالمجتمع في مكاشفة أبعاد الهوية لدى المثقف العربي، ذلك أنّه كان من الضروري لجهة ارتباطه بالواقع، راصدة بذلك ملامح التجربة الروائية.

2. الهوية وعلاقة المثقف بالمجتمع:

1.2 . الهوية والصورة::

2 تعد الهوية أساسا الكينونة والوجود، إذ تمثل أحد مقومات الذات، و"يمكن للمرء أن ينظر للهوية على أنها مجموع سماته المميزة والدائمة التي تميزه بوصفه مخلوقا لا تخطئه العين، والهوية هي ما يمكن للإنسان أن يصف به الآخرين"[2].

3 و"لا تكون الهوية كاملة أبدا وهي ليست شيئا تدركه الحواس، إنما هي صيرورة غير منتظمة، إنها قيد البناء على نحو دائم وهذا يعني أنها لا تتمتع بأي استقرار"[3]، "وبذلك تظل الهوية مشروعا يطلب دوما التأسيس، وليس هناك نقطة يكتمل عندها إنجاز، كما أن تحقيقها على نحو تام ليس ممكنا"[4]، فمن خلالها يتم الكشف عن خبايا النفس العميقة التي تستتر وراء ملامحها، وذلك ما يعكس فعالية الهوية في إبراز واقعها وتفاعلها في المجتمع، وعلى هذا النحو تسهم الهوية في التّعبير عن الكون الروائي، بما تمليه عليه خصوصية التّجربة المعاشة.

4 وتمثل الصورة في المنجز السردي أحد الدعائم الفنية " من كونها ملمحا جماليا لا غنى عنه، وأنها تستطيع أن تحقق أهداف فنية وموضوعية، إذا أحسن استعمالها وتوظيفها والاستفادة منها على اختلاف اتجاهاتها وطباعاتها المتعددة، فتقد بذلك صورة صادقة للطبيعة البشرية في حياتها المتنوعة"[5].

2.2 الشخصية

تعد الشخصية أحد أهم ركائز البناء الروائي، والمحرك الأساسي للأحداث، فهي "بمثابة البؤرة الأساسية التي يرتكز عليها العمل السردي، وهي عموده الفقري، فلا يمكن تصور قصة بلا أعمال كما لا يمكن تصور أعمال بلا شخصيات"[6].

ترتبط الشخصية بواقعها ارتباطا وثيقا، باعتبارها منفذا سرديا؛ "لأن الشخصية الروائية بحكم قدرتها على حمل الآخرين على تعرية طرف من أنفسهم كان مجهولا إلى ذلك الحين، فإنها تكشف لكل واحد من الناس مظهرا من كينونتها، التي ما كانت لتكشف فيه لولا الاتصال الذي حدث عبر ذلك الوضع بعينه"[7].

يرتكز الروائي على الشخصية لأجل إبراز رؤى وتصورات خاصة تمتزج فيه مع عوالم الحكي، و"تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء، والمذاهب، والأيديولوجيات والثقافات، والحضارات، والهواجس، والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها، ولا لاختلافها من حدود"[8]، لما تبثه من إيحاءات خصبة في سياق الخطاب.

مصادر الشخصيات في الرواية:

و"تقوم الرواية على مصادر إخبارية تتمثل في العناصر الآتية:

- ما يُخبر به الراوي.

– ما تخبر به الشخصيات ذاتها.

– ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات"[9].

تركز الرواية على أدوار الشخصيات في المجتمع، وذلك "يعتمد على هاجس البحث عن الوظيفة الاجتماعية والدور الذي يؤديه الأدب، في عملية البناء وتجديد الحياة وضرورة أن تعكس الآثار الأدبية الظروف الحياتية، أي واقع الأديب بما فيه من ظروف ومشاغل وأفراح وأقراح فردية وجماعية، يتفاعل معها الأديب فتشكل هاجسه ومصدر تجربته "[10]، فهذه الشخصيات تصّور لنا انطباعات المبدع الفكريّة.

3.2 . علاقة المثقف بالمجتمع:

ويراد بالمثقف أنه " كلمة تطلق على فرد من طبقة أو شريعة معينة تقوم بعمل عقلي، فنحن نصنف طبقات المجتمع اعتبارا من نوع العمل الذي تقوم به كل طبقة ونوع النشاط الذي تقدمه للمجتمع"[11].

يسهم المثقف في تنوير القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية في المجتمع، "فالمثقف ذلك الشخص الذي يمارس العمل الذهني والعقلاني، ويعنى بالتفكير والتأمل والتخيل والإبداع المعرفي وينتج الآداب والعلوم والفنون"[12]

لقد استطاعت الرواية العربية في العصر الراهن، أن تلامس الواقع بمختلف تجلياته السياسية والثقافية والاجتماعية، ومن ثمّة تتفرع منها جملة من القضايا التي تخص المثقف، وهو ما يقتضي بالضرورة اندماجه مع المجتمع والايدولوجيا، تبعا لاختلاف تجاربهم ومواقفهم في الحياة، وذلك نظرا لأن المثقف أضحى عنصرا فعالا في المجتمع على الخصوص، "الأدب ظاهرة اجتماعية، وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه، وإنما ينتجه لمجتمعه منذ اللحظة التي يفكر فيها بالكتابة وإلى أن يمارسها وينتهي منها"[13].

ولعلّ من أهمّ الخصائص التي اقترنت بالممارسة الروائية العربية، الانفتاح على مجالات الحياة ، فالنص رؤية شاملة لكل أوضاع المجتمع، في "حين حدد دور المثقفين ومجالات التقارب مع السلطة جعل الكتابة والأدب جزءا من المؤسسة الاجتماعية والسياسية الشاملة يزدهران بازدهارها وينطحان إلى مرتبة ثانية عندما ينتابهما الهرم أو لا تتكامل لها مقومات التبلور والرسوخ[14].

لقد شهدت الرواية العربية الحديثة تطورا كبيراً ، واكب التغييرات اجتماعية والسياسية، حيث ساهمت في معالجة المشكلات والقضايا التي تهم المجتمع، كاشفة عن معاناتها الشخصيات وآمالها وهويتها من خلال الإفصاح عن كينونة الإنسان، وهو ما سنركز عليه في هذا المطلب.

3.أزمة الهوية وصورة المثقف في رواية اللجنة

1.3 الاستلاب وتأزم هوية المثقف في المجتمع:

يستمد المنجز الروائي لصنع الله إبراهيم رؤاه الفنية من المرجعية الاجتماعية، لما تميز به لغته بالأسلوب الرصين، بناء على غايات شعوريّة أسهمت في تشكيل أسلوبه اللغوي، ذلك أنّ "الكاتب لا يتأثر بالمجتمع فقط

إنه يؤثر فيه والفن ليس مجرد إعادة صنع الحياة فقط إنما تكوين لها أيضا"[15]، لهذا نجد المواضيع تختلف من روائي لآخر، وذلك راجع إلى اختلاف التّجربة الذاتية والاجتماعية.

إنّ المتصفح لرواية اللجنة يجدها تزخر بشحنة من الاضطرابات النفسية التي أنتجتها جملة مجموعة من التناقضات على الصعيد الاجتماعي والثقافي عامة. فالرواية تسرد أحداث مقابلة المثقف (الراوي) مع اللجنة، وتعرض الرواة وقائع تاريخية وسياسية مهمة.

نجد أنّ رواية "اللجنة" من بين أهم الروايات المستمدة من معاناة المجتمع، كونهم "يعشون تحت ضغط تداعيات ذهنية سلبية"[1]، حيث تناولت صراع الشخصيات المثقفة، لتجسد الواقع الاجتماعي المتأزم آنذاك، فكان لها أثر على المثقفين الذين ضيعوا آمالهم وطموحاتهم نتيجة المعاناة والغرق في مستنقع الانحطاط.

تعالج الرواية الواقع القاتم للمثقف في المجتمع العربي، على أساس التّعبير عن التّجربة الذاتية التي تنسجم مع مواقفه همومه وأحزانه الداخلية، وجاءت في قوله :

" ولما كانت أغلب هذه المواد باللغة العربية ، فقد انطلقت أتحدث عنها بلغة اللجنة، فاستمعوا إليا باهتمام وهم يتصفحون الأوراق التي وضعتها أمامهم، لكن لاحظت أن العضو الجالس إلى يسار العجوز ، وهو أشقر الشعر ملون العينين، لم يعبأ بهذه الشهادات، وانهمك في تصفح ملف يضم ولا شك التقارير السرية بشأني"[16].

يمثّل الرقص أثناء مقابلة عمل نمطا من أنماط التهكم والسخرية في رواية "اللجنة"، ومِنْ أمثلة ذلك قوله: "تكلمت إحدى السيدات وهي عجوز وقور كانت تجلس في أقصى اليسار إلى جوار رجل بدين، يرتدي سترة بيضاء ويضع ساقا على ساق رافعا على رأسه إلى أعلى محدقا في السقف كأنه ليس معنا سألتني:

هل تعرف الرقص؟

أجبت: أجل بالطبع

فتدخل الرجل القصير الغاضب قائلا:

أرنا إذن "[17].

من خلال هذا المقطع السردي يتضح أن الروائي يصور مظهرا من مظاهر الاستغلال البشري الذي يتلبس بشرعية السلطة، فنلاحظ أن لجنة المقابلة تستهزئ بالراوي، فالرقص في مقابلة عمل دلالة على اللامبالاة، فالراوي هنا يحاول الانفكاك من الحدود التي يفرضها الواقع، والرغبة في تجاوزه، "ترجمها كظاهرة فكرية ترتكز على مواقف ذات فلسفات...ولدت إحساسا بمحنة الذات الإنسانية في العصر الحاضر، التي قامت على مشاعر الغربة والضياع والتمزق، لعدم الملائمة بين منطقها ومنطق الوجود الخارجي ولإحساسها بالضيق"[18].

ويمكننا أن نلحظ عالم هذا الروائي– صنع الله – له خصوصية مميّزة، في أسلوب الحكي ودمجه مع معطيات الواقع، وذلك يردّه إلى الشخصية "من خلال تجربته فيها، ومعاناته لها، واندماجه مع هذه التجربة، وهذه المعاناة إلى أقصى الحدود، حتى يدرك دقائق الحياة وتفصيلاتها، وحتى يقف فيها على العناصر الجوهرية الكامنة في أغوارها، والمسببة لوجودها، ومن شأن الأدب بعد ذلك أن يكشف كل هذه الخبرات وينقلها إلى الآخرين"[19].

فالراوي يسلط حدثا اجتماعيا في ثوب أخلاقي، للدلالة على الاستهزاء بالمثقف العربي، "ويصور ذلك على نحو رمزي أزمة الإنسان الإنسانية في جوهرها العميق، وهربه من ذاته بحثا عن قيمة حقيقية لهذه الذات، وجدوى فعالية وجودها في ظل القهر والاستبداد والعبودية"[20]، ذلك أنّ معايشة الراوي هذه المعاناة الناتجة عن السخرية من المثقف، تعبر عن التهميش وتدني مكانته في المجتمع.

إن وعي الراوي – بدور المثقف – الدال على الانتماء، جعل التجربة الروائية لا تخرج عن مدار الواقع، لتلامس بذلك حدود التّجربة، واستبطان ذات المتكلم بما يختلج في قرارة نفسه من غيض وقهر " توق إلى التغيير والتطهير قد تحقق فعلاً في الواقع، ويكفي الرواية أنها صدقت واقعها، وأنها تبقى بتجلياتها تشارك في خلق مزيد من بذور هذا السعي الحثيث الذي لا يتراجع من أجل الإنسان العربي الذي يبدو أنه اشتد عوده بما مرَّ عليه من أحداث وأزمات وما ناله من تقصير وضغط على مستويات عديدة، وصار قادراً على الفعل من أجل الذات، والأمة معاً"[21].

يعاني المثقف في الوطن العربي من التهميش وعدم الاهتمام بقدراته ومهاراته المعرفية والفكرية، وهذا ما نجده بقوله :"رفع عضو قصير القامة قبيح الوجه رأسه نحوي، وكان يجلس إلى يمين الرئيس، بينه وبين أحد العسكريين وخاطبني في لهجة عدائية....همهم القصير غاضبا، وعجبت لحقده علي، وأحسست إحساسا مبهما، أني أثرته عندما أبرزت مواهبي، ودللت عليها بالشهادات الصادرة من جهات محترمة ذات نفوذ[22].

ويعبر هذا المقطع على مشاعر التوجّس والعذاب التي يكابدها الراوي، المعبّرة عن نفسّيته المتأزمة والمحمومة بمشاعر الإحباط، ويمكن استشفاف دلالته من خلال المعاناة في المجتمع الذي لا يقدر قيمة العلم، بقوله (أحسست إحساسا مبهما) تعبيرا عن شعوره المتأجج الذي اعتمل في نفسه، حيث جاءت دلالته متناغمة مع إحساس الراوي بما يجيش بداخله مِنْ أسى، وما يمزّق فؤاده مِنْ عذاب.

وقوله: " انقضت عدة شهور على المقابلة التي جرت لي مع اللجنة، تناوبتني خلالها مشاعر اليأس والرجاء، فكنت أستيقظ في الصباح بثق مطلقة في أن قرارها سيكون لصالحي، ولا تمض ساعات إلا ويكون الشك قد راودني، فاسترجع وقائع المقابلة لحظة بلحظة، وعندئذ يستولي على هبوط بالغ، أو أقع فريسة ليأس مطبق"[23].

لقد أضاع المثقف العربي آماله وطموحاته نتيجة التخلف والمحسوبية، فقرارات لجنة المقابلة بثت في نفسية الراوي شحنات كئيبة، والمتأججة بالقهر، وهذا يتفق مع طبيعة التجربة التي تتسم بالمشاعر الكئيبة تجاه واقعه، الذي يشي بضياع الذات، فهو أمر ذو منازع شعورية.

إنّ شخصية المثقف في هذه الرواية، ومعاناتها مع اللجنة جاء تعبيراً الواقع العربي الدّال على التسلط والعبثية في معاملة المثقفين، وبين أيضاً ما تعرضت له هذه الشخصية من التعسف والسخرية، لتكشف مدى بؤس المثقف ومعاناته في المجتمع الحديث، " وهي الحالة التي تعتري البطل الذي يؤم مختلف الذوات الأخرى فيمد القارئ بملامحها وخصوصياتها انطلاقا من البنية السردية التي يهيمن عليها ضمير المتكلم حين يعكس« رؤية المثقف التي تطغى على جدلية الواقع حيث تفيض الذات لتغطي الموضوع»[24]

" عندئذ انتابني شعور بالغ الإحباط والعجز، ورأيت أني مشرف على الإفلاس والفشل، ولمت نفسي على أني انسقت من البداية وراء سراب من الطموح ، قادتني إليه ثقة بمواهبي، فوضعت نفسي في طريق اللجنة، متعرضا بذلك لمحن متتابعة"[25].

يتراءى لنا أنّ الراوي في حالة الحسرة والتّذمر نتيجة الاستهتار بإمكانياته العلمية، إذ يجسد شعوره النّاقم عما يتعرض له، الذي ناسب الموقف المليء بالحزن مشاعر الغبطة، فهو يعبر عن ضجره وسأمه على ما آلت إليه حالة المثقف المزرية.

وقوله: "وقفت عاريا أمام الأعين الباردة اللامبالي لأشخاص ذوي بطش، ينتمون إلى عوالم مختلف عن عالمي، وتجري حياكل منهم في مدار مستقل لا يتوقف بأي شكل على نتيج المواجه القائمة بيني وبينهم، عكس الأمر بالنسب لي"[26].

كما يعبر المثقف عن المعاناة والمتأججة بالأسى، وذلك نتيجة التّأزم النفسي الذي يحسه، وهذا يتفق مع طبيعة التجربة التي تتسم بالمشاعر الكئيبة تجاه واقعه، الذي يشي بضياع الذات، والتي عبّر من خلالها عن مشاعر جياشة تتملكه بقوله: "همهم القصير غاضبا، وعجبت لحقده علي، وأحسست إحساسا مبهما، أني أثرته عندما أبرزت مواهبي، ودللت عليها بالشهادات الصادرة من جهات محترمة ذات نفوذ"[27].

كما أنّ الراوي يريد التّعبير عن تجربة الألم والمعاناة في أشّد مرحلة دموية في حياته بسبب قيامه بجريمة قتل لأحد أعضاء اللجنة : "إذ أني لم أنكر شيئا منذ البداية ولم حاول تبرير فعلتي، ومن ناحية أخرى فإن الندم لم يساورني ، إذ غاشيتني قناعة بأن ما حدث كان لا بد أن يحدث"[28]، حيث نحظ تقلب الوضع النفسي الذي كان في حالة سلام ثم تحول إلى مجزرة، "وأعتقد أنكم تعرفونني جيدا أني لم يسبق أن أقدمت على عمل من أعمال العنف، فأنا مجرد إنسان عادي يؤثر السلام قدر الإمكان"[29]، وقوله أيضا : "ومن المؤكد أني لو لم أبادر بالقضاء عليه فإنه ما كان سيتركني بسلام، ...وما أبغيه أن تضعوا في تقديركم حالتي النفسية والعصبية"[30]، ومن هنا فالراوي يعبّر عن همومه النازفة التي تحولت الطموحات إلى مآسي وأحزان.

ونهاية المثقف مع اللجنة انتهت بأكل نفسه، بقوله : " رفعت ذراع المصابة إلى فمي، وبدأت آكل نفسي"[31]، أي أنّ المحاربة النفسيّة تواجه يأسه وقنوطه بكل الأسلحة المتاحة من أجل الحصول على راحة البال.

فالمثقف في المجتمع العربي مقموع ، لما يعانيه من حالة استلاب مريرة، بحيث " يكاد يكون الاستيلاب سمة الكتابة الروائية المعاصرة، باعتباره حالة شعورية ملازمة للوجود الإنساني، نتيجة ضغوط الواقع كانعكاس لقسوة المجتمع الصناعي الرأسمالي، الذي ألغى القيم الإنسانية، وأحدث تغييرات على نطاق واسع في بنية المجتمع الإنساني"[32].

وعبر الراوي عن الواقع المتأزم للأمم العربية نتيجة التسلط قائلا: "لكني تبينت من استقرائي للتاريخ والحالات المماثلة، أنه عن طريق هذه العمليات بالذات، عملية التغيير والإحلال المتكررة، ستفقد جماعتكم تدريجيا، ما لها من سطوة، بينما ترتفع مقدرة أمثالي على مواجهتها والتصدي لها"[33]، ومنه تتفق هذه المعاني مع تمسك المثقف بمبادئه التي هي أساس وحدته ووجوده في هذه الحياة.

مأساة المثقف في رواية "اللجنة لصنع الله إبراهيم"، تبرز ملامح انكسار الذات والألم الذي يشوبها نتيجة فقدان هويتها في الحياة، فيصورها بصورة مأساوية ممزوجة بصرخات محمومة بالألم "الصرخة ضدّ الألم بعد اجتماعي يمد الصرخة بغنى التجربة، وتطلّع الإنسان إلى تحقيق السعادة"[34]

2.3 الطبوهات السياسي وصناعة صورة المثقف (شخصية الدكتور):

تُصور رواية " اللجنة" الواقع السياسي إبان المرحلة التي مرت بها المجتمعات العربية في مرحلة الثمانينات والتسعينات، ونوضح العلاقة بين المثقف كفاعل اجتماعي والأحداث والقرارات المصيرية في الساحة السياسية وفق العناصر الآتية:

وفي حديثه لدور الدكتور في المجتمع، ووجه المفارقة بين مكانته العلمية والأفعال الخارجة عن القانون فيما يخص علاقته بالفساد قائلا: "وفي تلك الفترة تعرض الدكتور لهجمة عنيفة، إذ قبضت عليه السلطات وأودعته السجن، أما السبب فيصعب تحديده، إذ تضاربت الأقاويل بشأنه، فقيل أنه كان مشتركا في محاولة لقلب نظام الحكم، وقيل أنه تمادى في الدعوة للأفكار الاشتراكية وهنا من أكد أنه كان ضالعا في إحدى العمليات المالية المريبة التي كان القانون يحرمها وقتذاك"[35].

تضمّن هذا المقطع رؤية واقعية تعبّر عن كل مظاهر استغلال المثقف (الدكتور) للسلطة بالتواطؤ مع الأعداء، وهو ما نستشّفه من دلالة (قلب نظام الحكم)، بما تحمله هذه الشخصية من مبادئ تتكشف علنا ودنائس تحتجب؛ "لأن المنحرف دليل ومؤشر على وجود ثغرات في النظام الاجتماعي والسياسي"[2].

لقد أصبح لمكانة المثقف أهمية بالغة في حياتنا الحديثة، فصارت الانجازات مهمة لدينا وتمثل جانبا مهما من الحياة التي نعيشها كل يوم مثل العمل والمشاركة في المجالس العلمية، والمناصب الراقية في المجتمع، ومن ضمنها انجازات الدكتور في مجال البحث العلمي، " لأنه كان معروفا لي وللكثرين بلقب الدكتور وحسب، ومع أن بلادنا

تعج بالآلاف الذين يحملون هذا اللقب العلمي الرفيع، فإن مجرد ذكر اللقب وحده كان كافيا للدلالة عليه دون سواه"[36]

وفي رواية (اللجنة) تشوهت هذه الصورة نتيجة الشبهات والأفعال السيئة التي قامت بها هذه الشخصية الراقية" وفي هذا الصدد استشهدت المجلة بالقول السائر في العالم العربي : إذا لم يكن للدكتور أصبع في إحدى الصفقات، كان له بالتأكيد نصيب في عائدها"[37].

وبالتالي، فقد ساهمت وسائل الإعلام في صناعة صورة المثقف أمام المجتمع، حيث "كرس بورديو اهتماما كبيرا لنقد الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام وتبعية المثقفين لها بشكل خاص، خاصة من خلال الدور الخطير الذي تلعبه هذه الوسائط في تكريس الأوضاع، والمصالح السائدة، وفي التفريغ السياسي والتلاعب بالعقول"[20].

تمثّل شخصية الدكتور مصدرا للفخر والاعتزاز، كان لها تأثير في الواقع المكلل الانجازات، "ومما قيل في شأن مبادئه الأخلاقية، فإن أحدا يستطيع أن ينكر أن الدكتور وأمثاله يحملون مشعل التقدم والسلام والاستقرار للمنطقة التي طال بها التخبط في ظل التطرف"[38].

فمكانته تدل على القوة والعزة إشارة إلى منجزاته على الصعيد المهني، بحيث حاول منافسة الشركة العملاقة كوكا كولا في الساحة العربية، " فهذه الزجاجة، كما تعلمون حضراتكم، دخلت بلادنا في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات، في ظل حملة إعلانية هائلة سهلت من انتشارها حتى بلغت أقاصى القرى والنجوع، وصار على كل لسان ، لكنها لم تلبث أن بدأت في التراجع بعد الثورة، وقد تبينت أن الدكتور كان ، مع عوامل أخرى، مسؤولا عن هذا التراجع، ذلك أنه شارك في محاولة لمنافستها بشراب محلي كتب لها النجاح إلى حين"[39].

ركّز الراوي على الدور السياسي للدكتور، فقد كان مدركاً إلى مدى تأثير هذه الشخصية في الحروب، ومن ذلك قوله: "أندفعت في ثور : ألغاز كثيرة إن شئت ، خذ مثلا موقف الدكتور من مشكلة الحرب والسلم، ففي بعض الأحاديث الصحفية القليلة التي أجريت معه، وصف الحرب بأنها السبيل الوحيد لاستعادة الحقوق المغتصبة، بينما أكد في أحاديث أخرى ، أن السلام هو السبيل الوحيد لذلك"

قاطعني متسائلا : وما التناقض بين الأمرين؟

قلت التناقض هو أنه في الحالة الأولى – عندما يتحدث عن الحرب – تجده يعمل بنشاط في مشروعات تحتاج أو ما تحتاج إلى السلام، وفي الحالة الثانية – عندما يتحدث عن السلام- تجده منهمكا في تأليف جيش من المرتزقة يقدمه لمن يدفع الثمن"[40]، وهذا فيه دلالة على وعي الراوي بالواقع العربي ومن هذا المنطلق، فإنّ الأمجاد الثورية لها دور في بعث حاضرنا ومستقبلنا، لما لها من قدرة على المحافظة على هوية الوطن وثوابته عبر الزمن.

3.3 . المثقف فاعلا اجتماعا:

قد تأثرت الرواية العربية بالاضطهاد المسلط على المثقف، إذ كان – هذا الأخير – فاعلا في التّعبير عن قضايا المجتمع، فالمحيط الاجتماعي هو من أهم الفواعل التي تؤثر في بناء الشخصية داخل الخطاب الأدبي.

استحضر الراوي شخصية الدكتور (الطبيب) لدلالة على الاستغلال، بقوله: " فوجئت بالممرض إذ يتولى استقبال الزبائن يطالبني أن أدفع جنيها فقلت:

لقد دفعت أمس خمس جنيهات كاملة .

قال : أعرف تلك كانت أجرة الكشف، وما أطلبه منك هو رسم الاستشارة.

قلت متعجبا : هذه أول مرة أسمع فيها أن لاستشارة بنقود[41].

وقوله أيضا: "هذا كله لم يتحقق بعبقريتك الفذ، فأنت وأمثالك تستفدون من مجموع من الامتيازات المتوارث التي سلبت مني ومن غيري، ومن آبائي وأجدادي...وبالإضافة إلى ذلك فأنت من الجيل الذي تعلم مجانا على حسابي وحساب غيري"[42].

يحاول الراوي التحرر من قيود المستغلين، إذ تعدّ هذه الشخصية منطلقا لمساءلة الواقع الاجتماعي الدّال على التذمر، ذلك أنّ حالة المجتمع العربي مزرية تدعو للتمرد عليها.

والمعاملة القاسية تُفقد المثقف لهويّته هو ما يفسّر إحساس الراوي بإهانة الطبيب له بقوله: "كفى لا أريد مناقشتك، أرجو أن تغادر عيادتي فورا ، فأمثالك لا حق لهم في خدماتي...إن وقتي يمشي وقد ضيعت جزءا كبيرا منه، ولهذا فليس لك شيء عندي، وإذا لم تذهب الآن سأطلب من الممرض أن يلقي بك إلى الشارع"[43].

ففي هذا المقطع السردي نجد أنّ الطبيب يعبر بلغة غارقة في مأزق الارتباك، لغة بعيدة كل البعد عن اللياقة، واللطف، والأناقة، والموضوعية، لغة فقد معها الفكر السياسي كل مرجعياته المبدئية، وفقدت السياسة رقي علاقاتها الجدلية بينها، وبين اللغة، وبين الأخلاق، حتى أصبح العنف اللفظي هو انعكاسا لعنف رمزي يمارسه الفاعل السياسي على ذاته قبل ممارسته على المواطن"[5].

فقد فقدت الشخصية ثوابتها وقيمها الأصيلة، وعبّرت عن حالتها النفسية المفعمة باليأس والقنوط، واصفاً لحالة التشتت وإخفاقات الأمة العربية، وتدهور أوضاعها في كل المجالات العلمية والسياسية، والاجتماعية، ليكشف مرارة الواقع الذي يعيش فيه المثقف نتيجة الإحساس بالذل والمهانة.

تعكس التجربة الفردية للمثقف معاناة المجتمع، "إلا أن هذا المنطلق ما هو إلا شرارة لكشف جماعي، إنساني. تريد أن تحفر في بنية الواقع، في العمق، وتقلب الأوراق، وتمنع حيفاً وقع، أو يقع هنا أو هناك، أو قد يقع. وأن تنتصر لكل القوى المجاهدة من أجل الحق وجمال الحياة"[44].

" واكتفت أ أغلب العلماء والأطباء والفنانين والمهندسين والمدرسين وأساتذة الجامعات كانوا مشغلين بجمع الثروات عن القيام بعمل واحد من شأنه أن يضعهم في دائرة الضوء ، أو بالقرب منها حقا إن صيت بعض من هاجر منهم طبق الآفاق بما حققه من كشف وابتكار في مجاله ...لكنه فعل ذلك في الخارج، بعد أن نشأ وتعلم

بن ظهرانينا، ووضعت ابتكاراته وكشوفه على الفور لخدمة البلاد الأجنبية وأهلها، فأي علاقة صارت تربطه بموطن نشأته"[45].

فشخصية الراوي تبرز لنا النزعة الإيديولوجية التي ينتمي إليه، التي تتمثّل في الدفاع عن المثقف العربي، وعدم الاستسلام للواقع، ورفض الأفعال السيئة من طرفه، فالراوي – هنا- يعبر عن التهميش ، مسقطا لها على الواقع المزري للوضع الاجتماعي للمثقف، المليء بالخيبة والاضطهاد، ذلك "أن هناك علاقة عضوية بين الفرد المبدع ووعي المجموعة تتمظهر بصفة ضمنية في شكل بنية اجتماعية تعتري بطريقة غير مباشرة بنية الأثر الأدبي، وتحيل على تواجد نسق فكري أو أدبي هو متصل بفكر وبوعي الفئة المجتمعية التي يرتبط بها الكاتب اجتماعيا وثقافيا"[46]. :

4. خاتمة:

رواية " **اللجنة لصنع الله إبراهيم**"، تجسد رؤية واقعيّة تتلاءم والبنية الاجتماعية المعبّرة عن خبايا الهوية العربية، وما رافقها من قمع واضطهاد، لتبرز ملامح الظلم والتجبر والطغيان السائد في جسد الأمة العربية، فقام الراوي بمعالجة هموم المثقف برؤية اجتماعية بما تتضمنه من إيماءات بغية تحقيق التأثير والتفاعل مع المتلقي.

ولعل أهم النتائج التي أفرزها هذا البحث يمكن إجمالها على نحو الآتي:

- أبرزت رواية اللجنة أزمة المثقف في المجتمع العربي، التّعبير عن قضايا التي تؤرقه، ومحاولة رصد معاناته وانتكاساته على الصعيد الاجتماعي والعلمي.
- تناولت الرواية قضية الهوية واستغلال الوظيفة، وانعكاسات الصراع الإيديولوجي بين الشخصيات على المجتمع العربي.
- النظرة الدونية للحياة طرحت عدة تساؤلات حول الهوية والذات نتيجة تهميش المثقف من خلال الواقع القاتم الذي يعيشه.

أنّ الراوي بتوظيفه لهذه الشخصيات يريد التّعبير عن تجربة الأ لم والمعاناة في المجتمع العربي.

5- الهوامش:

[1] – بوشوشة بن جمعة، مختارات من الرواية المغاربية العاصرة، بيت الحكة، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، ج1 قرطاج 1992، ص7.

[2] – بيتر كوزان، البحث عن الهوية وتشتتها في حياة إيريكسون وأعماله، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2010م، ص 93.

[3] – نهال مهيدان، الآخر في الرواية النسوية العربية، (في خطاب المرأة والجسد والثقافة) عالم الكتب الحديث،ط1 إربد الأردن، 2008م، ص 110.

[4] – بول ريكور، الهوية والسرد، تر: حاتم الورفلي، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2009م، ص 30-31.

[5] – عمر بن قينة، الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، دار الأمة للطباعة ،ط1 الجزائر، 1995م، ص 45.

[6] – بلغربي فاطمة الزهراء، البنية السردية ، ص 22.

[7]– عبد الملك مرتاض، أبحاث في الرواية، ص 79

[8] – المرجع نفسه، ص 73.

[9] – حميد الحميداني، بنية النص السردي من المنظور النقدي الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1بيروت، لبنان، 1993م، ص 51.

[10] – علي لطرش، الخطاب النقدي الاجتماعي العربي الحديث وموقفه من التراث الأدبي العربي أطروحة دكتوراه في النقد الأدبي الحديث، إشراف أحمد حيدوش، جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص 18.

[11] – علي الشريعتي، مسؤولي المثقف، تر: إبراهيم الدسوقي، دار الأمير للثقافة،ط2 لبنان، 2007م، ص 50.

[12] – جميل حمداوي، الثقافة مفاهيم ومقاربات، ورؤية سوسيوأنتربولوجيا، ط1، المغرب، 2016، ص 14.

[13] – بسام قطوس، المدخل إلى المناهج العربية المعاصرة، دار الوقفاء للطباعة والنشر، ط1 مصر، 2006، ص 65.

[14] – عمر عيلان، الأدبي والاجتماعي، ص 13.

[15] – رينيه ويليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د ت، ص 97.

[16] – صنع الله إبراهيم، رواية اللجنة، دار الكلمة، القاهرة، ط2 مصر، 1982م، ص 13.

[17] – المصدر نفسه، ص 14.

[18] – السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية، ط3 بيروت، 1984، ص: 256.

[19] – عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية المعنوية، دار الكتاب العربي، ب ط القاهرة 1967م، ص: 373- 374

[20] – محمد صابر عبيد، تأويل متاهة الحكي في تمظهرات الشكل السردي،،عالم الكتب الحديث،ط1 إربد، الأردن، 2011م، ص 186.

[21] – ربيع مغازي، النزعة الرمزية في رواية"فاجعة الليلة السابعة بعد الألف، رمل الماية لواسيني الأعرج، إشراف شريف بموسى عبد القادر، ، مذكرة ماجستير في الأدب العربي الحديث، أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2011/2010مص 75.

[22] – صنع الله إبراهيم، رواية اللجنة، ص 14.

[23] – المصدر نفسه، ص 33.

[24] – ربيع موازي، النزعة الرمزية في رواية"فاجعة الليلة السابعة بعد الألف، ص 99.

[25] – صنع الله إبراهيم، اللجنة، ص 39.

[26] – لمصدر نفسه، ص 152.

[27] – المصدر نفسه، ص 14.

[28] – المصدر نفسه، ص 116.

[29] – المصدر نفسه، ص 116.

[30] – المصدر نفسه، ص 117.

[31] – المصدر نفسه، ص 154.

[32] – رحال عبد الواحد، التجريب في النص الروائي الجزائري، شهادة الدكتوراه في الأدب الحديث، إشراف: رايس رشيد، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2015/2014م، ص 186

[33] – صنع الله، إبراهيم، اللجنة ص 153.

[34] – حسين أبو النجا، اليهودي في الرواية الفلسطينية، دار هومة ،ط01 لبنان؛ 2002،م ص: 52 .

[35] – صنع الله إبراهيم، رواية اللجنة، ص 61.

[36] – المصدر نفسه، ص 40.

[37] – المصدر نفسه، ص 62.

[38] – المصدر نفسه، ص 62.

[39] – المصدر نفسه، ص 73.

[40] – المصدر نفسه، ص 98.

[41] – المصدر نفسه، ص 147.

[42] – المصدر نفسه، ص 149.

[43] – المصدر نفسه، ص 149.

[44] – دريد يحي الخواجة، إشكالية الواقع والتحولات الجديدة في الرواية العربية، دراسة وعي مجادلة الواقع ومتغيراته، وتقنيات البنية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1999، ص: 43-44.

[45] – صع الله إبراهيم، اللجنة، ص 37.

[46] – محمد بشير بويجرة، دينامية وجمالية التلقي في الرواية الجزائرية المعاصرة، إشراف: بوسكين مجاهد، لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران كلية الآداب والفنون، 2016/2015مص 90/89.

6 قائمة المراجع:

1. بسام قطوس، المدخل إلى المناهج العربية المعاصرة، دار الوقفاء للطباعة والنشر، ط1 مصر، 2006.
2. بوشوشة بن جمعة، مختارات من الرواية المغاربية العاصرة، بيت الحكة، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، ج1 قرطاج 1992م.
3. بول ريكور، الهوية والسرد، تر: حاتم الورفلي، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2009م.
4. بيتر كوزان، البحث عن الهوية وتشتتها في حياة إيريكسون وأعماله، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2010م.
5. جميل حمداوي، الثقافة مفاهيم ومقاربات، ورؤية سوسيوأنتربولوجيا، ط1، المغرب، 2016.
6. حسين أبو النجا، اليهودي في الرواية الفلسطينية، دار هومة ،ط01 لبنان؛ 2002،م.
7. حميد الحميداني، بنية النص السردي من المنظور النقدي الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1بيروت، لبنان، 1993م.
8. دريد يحي الخواجة، إشكالية الواقع والتحولات الجديدة في الرواية العربية، دراسة وعي مجادلة الواقع ومتغيراته، وتقنيات البنية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1999م.
9. ربيع مغازي، النزعة الرمزية في رواية"فاجعة الليلة السابعة بعد الألف، رمل الماية لواسيني الأعرج، إشراف شريف بموسى عبد القادر، ، مذكرة ماجستير في الأدب العربي الحديث، أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2011/2010م.
10. رحال عبد الواحد، التجريب في النص الروائي الجزائري، شهادة الدكتوراه في الأدب الحديث، إشراف: رايس رشيد، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2015/2014م.
11. رينيه ويليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د ت.
12. السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية، ط3 بيروت، 1984.
13. صنع الله إبراهيم، رواية اللجنة، دار الكلمة، القاهرة، ط2 مصر، 1982م.

14.عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية المعنوية، دار الكتاب العربي، ب ط القاهرة 1967م.

15.علي الشريعتي، مسؤولي المثقف، تر: إبراهيم الدسوقي، دار الأمير للثقافة،ط2 لبنان، 2007م.

16.علي لطرش، الخطاب النقدي الاجتماعي العربي الحديث وموقفه من التراث الأدبي العربي أطروحة دكتوراه في النقد الأدبي الحديث، إشراف أحمد حيدوش، جامعة الجزائر، 2007-2008م.

17.عمر بن قينة، الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، دار الأمة للطباعة ،ط1 الجزائر، 1995م.

18.محمد بشير بويجرة، دينامية وجمالية التلقي في الرواية الجزائرية المعاصرة، إشراف: بوسكين مجاهد، لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران كلية الآداب والفنون، 2016/2015م

19.نهال مهيدان، الآخر في الرواية النسوية العربية، (في خطاب المرأة والجسد والثقافة) عالم الكتب الحديث،ط1 إربد الأردن، 2008م.